لغة الشعر في ديوان صالح الجعفري

رغد علي سطام الغزالي

Raghiddzli@gmail.com

جامعة الكوفة

ملخص :يتناول هذا البحث دراسة اللغة الشعرية في ديوان الشاعر العراقي صالح الجعفري، بوصفها الأداة الأساسية في تشكيل الدلالة وبناء الجمالية الفنية للنص الشعري. وينطلق من فكرة أن لغة الشعر ليست لغة إبلاغ فحسب، بل لغة خلق وإبداع، تتحقق من خلال حسن توظيف المفردة وبناء الجملة. وقد اعتمدت الدراسة على مستويين: مستوى المفردة ومستوى الجملة. ففي مستوى المفردة، رصد البحث أبرز الحقول اللغوية التي وظفها الجعفري، ولا سيما المفردات الدينية المتأثرة بالبيئة النجفية والتراث القرآني، والمفردات التراثية المعجمية، والألفاظ الخمرية التي خرج بها أحيانًا إلى دلالات رمزية وصوفية، إضافة إلى ظاهرة الترادف وما تحمله من أبعاد نفسية مرتبطة بتجربة الشاعر الإنسانية، ولا سيما فقدان البصر. أما في مستوى الجملة، فقد تناولت الدراسة الأساليب التركيبية البارزة مثل الاستفهام والنداء والأمر والنهي والربط بالأدوات، مبيّنة دورها في تماسك النص ونقل الانفعال الشعوري. وخلص البحث إلى أن لغة الجعفري تمتاز بالثراء الدلالي والمرونة التعبيرية، وأنها أسهمت في تكثيف التجربة الشعرية وإبراز بعدها الإنساني والجمالي، مما يجعل شعره نموذجًا دالًا على تفاعل التراث والحداثة في الشعر العراقي الحديث.

الكلمات المفتاحية: لغة الشعر، ديوان صالح الجعفري

Abstract: This study examines the poetic language in the collection of the Iraqi poet Ṣāliḥ al-Jaʿfarī, considering it the primary tool for shaping meaning and constructing the artistic aesthetics of the poetic text. The research is based on the premise that poetic language is not merely a medium of communication, but a language of creation and creativity, achieved through the skillful use of vocabulary and sentence structure. The study adopts two analytical levels: the level of the word and the level of the sentence. At the lexical level, the research identifies the most prominent linguistic fields employed by al-Jaʿfarī, particularly religious vocabulary influenced by the Najafi environment and Qurʾanic heritage, classical lexical and heritage-based expressions, and wine-related imagery that sometimes transcends its literal sense to assume symbolic and Sufi connotations. It also examines the phenomenon of synonymy and its psychological dimensions connected to the poet's human experience, especially his loss of sight. At the syntactic level, the study analyzes salient structural devices such as interrogation, vocative forms, commands and prohibitions, and the use of connective particles, demonstrating their role in textual cohesion and in conveying emotional intensity. The study concludes that al-Jaʿfarī's language is characterized by semantic richness and expressive flexibility, contributing to the intensification of the poetic experience and the highlighting of its human and aesthetic dimensions. This renders his poetry a significant model of the interaction between heritage and modernity in contemporary Iraqi poetry.

Keywords: Poem, Sholeh al-Ja'fari

المقدمة

إن اللغة هي اللبنة الأولى التي يشكل منها المبدع فنه ويتجسد من خلالها ابداعه, وهي وسيلة الفن الشعري ومن مكوناته المهمة لأنها وسيلة الشاعر في بناء ما يريد من دلالة خاصة (غير مألوفة) تتميز عن الاستعمال النثري.((ولا يمكن الحديث عن العناصر والمكونات من دون ان تعني القصيدة بالعناية الاولى))(), فإذا كانت اللغة كما عبر عنها اللغويون القدماء هي ((اصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم))(), وهي بذلك تكون لغة افهام وايضاح, أما ((لغة الشعر فهي ليست لغة تعبير بقدر ما هي لغة خلق))(), وهذا لا يعني أن اللغة شيء واللغة الشعرية شيء أخر, وإنما يكون الاختلاف في طريقة استعمال وتوظيف هذ اللغة, فالشاعر هو الذي يحول اللغة الاعتيادية إلى لغة شعرية, إذ يمثل دور الصانع الخالق لتعبيره, وهنا يظهر الفرق بين شاعر ينجح وآخر يخفق.()

إن الشاعر يخضع لاعتبارات لا يخضع لها الناشر,ومن هذه الاعتبارات اختيار لفظ دون آخر أو تقديم كلمة دون أخرى, لضرورات تقتضيها الصياغة الشعرية كالوزن وغيرها, وقد ((ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر)).() فاللغة الشعرية ((هي حالة نظم الكلمات مما يجعلها زاخرة بالدلالة من تزاوج العلاقة بين الحقيقة بالمجاز))().وهي بذلك تكون لغة شعرية مؤثرة,((فالاستعمال الشعري للغة له شأن خاص إذ يجعل اللغة ذات شخصية كاملة تتأثر وتؤثر وهي تنقل الأثر من المبدع إلى المتلقي نقلاً أميناً))(). فهي تنقل احساس وعاطفة الشاعر عندما يحب ويكره, يغضب ويفرح من خلال استثمار الطاقات الموسيقية للغة وتآلفها مع بعضها وانتظامها على وزن معين في بحر من البحور, وتشكيل الصورة كل هذه العناصر تدعمها اللغة بالدرجة الأساس, وسوف ادرس الظواهر اللغوية البارزة في شعر الجعفري التي تتضمن الاستعمال الشعري للغة في مستويين :

١ –الاستعمال الشعري في مستوى المفردة .

٢ –الاستعمال الشعري في مستوى الجملة.

١ –الاستعمال الشعري في مستوى المفردة:

إن الشاعر يعتمد في بنائه اللغوي على الألفاظ محاولا أن يوفق ما بين ميزاتها المستعملة في الشعر والمعنى المراد التعبير عنه الموجود في ذهنه و ((اللفظ جسم, وروحه المعنى, وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه, ويقوى بقوته, فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنه عليه)).()

فالشعر ((معنى ولفظ والعلاقة بينهما علاقة الوسيلة بالغاية, فالمعنى هو الغاية, واللفظ هو الوسيلة لنقله)) .()

لقد وجدت في قصائد الشاعر مفردات تحمل مفاتيح مادته الشعرية وتكوين صورة وهذه المفردات انسحبت على سائر اجزاء شعر الشعراء, وقد راعيت ورود تلك المفردات في شعر الجعفري حسب كثرتها.

المنهج

يعتمد البحث على منهج وصفي تحليلي، يقوم برصد الاتجاهات اللسانية والنقدية المعاصرة، ويطبّقها على نماذج مختارة من الخطاب القرآني، كما يُوظّف آليات المقاربة التداولية والسيميائية والنقد البنيوي في تحليل النصوص، ضمن رؤية تكاملية تنفتح على التراث التفسيري دون أن تغلق أبواب الاجتهاد المعرفي المعاصر.

وإذ تضع هذه الدراسة نصب عينيها تحقيق التوازن بين قداسة النص القرآني وصرامة التحليل العلمي، فإنها تتوخّى أن تكون لبنة معرفية تضيء جانبًا من جمالية الخطاب الإلهي من خلال عدسة اللسانيات والنقد الحديث، لا لتفكك قدسيته، بل لتكشف عن عبقريته التعبيرية، وتنوّعه البِنائي، وثرائه الدلالي. فهي دعوة إلى قراءة واعية، تتجاوز التلقين إلى التفاعل، وتتخطّى التفسير التقليدي إلى التأويل القائم على أدوات العصر.

ومن هنا، فإن هذا البحث يُشكّل محاولة علمية متواضعة لإعادة قراءة الخطاب القرآني بوصفه نصًا مفتوحًا على تعدّد القراءات، وغنيًا بما يكفي لأن يظلّ قابلًا للحوار مع كلّ منهج، وكلّ عقل يُنشد الفهم والجمال والحقيقة.

البحث والمناقشة

ا- استعمال المفردة الدينية:

لعل نشأة الجعفري الدينية في ظلال اسرته العلمية وبيئته النجفية جعل شعره يأخذ صبغة دينية تمثلت بالألفاظ الدينية, وكان هذا التأثر بالتراث الديني المتمثل بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واضحاً لدى الشاعر من خلال تضمين شعره بهذه الألفاظ والتي لا تكاد قصيدة تخلو منها, ومن هذه الالفاظ القرآنية: (الصراط المستقيم, الخلق العظيم,الهدى, مكارم الأخلاق, الحق, الدين وغيرها) من ذلك قوله():

هديتَ هديتَ حائرنا فصرنا نسيرُ على الصراط المستقيمِ

اشعت مكارم الأخلاق فينا لكونك آية (الخلق العظيم)

ومن قوله في إحدى رباعياته():

أأخوتنا بدين الله هيّا نُلَبِّ صُراخَ أولى القبلتين

فهو استعمل (دين الله, ونُلبِ؛ من تلبية لبيك اللهم لبيك واستعمل أولى القبلتين) وهذا يدل على ما ذهبنا إليه من استعمال الشاعر للمفردة الدينية في شعره.

ب- استعمال المفردة القديمة (الموروث الشعري): وتشمل:

١) استعمال المفردة المعجمية:

لا يمكن للشاعر أن ينفصل عن الماضي وعن تراثه القديم, فإذا دققنا النظر في الفاظ الشاعر نجده اغترف من معين الالفاظ القديمة, علماً أنه يعتبر أحد المجددين في الشعر النجفي والعراقي ومن المواكبين لحركة التطور في الشعر العربي الحديث.

إن اللغة في شعر المجددين اكتسبت طرافة وجدة وربما كانت لها دلالات لألفاظ قديمة(), فالقصيدة الحديثة ((لغة شخصية و لا ضير في تكرار المعاني بالنسبة لمفهوم القصيدة القديمة))(), والجعفري استعمل المفردات القديمة لتأثره بالشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين من جراء قراءته

المستمرة لدواوينهم, ويتمخض هذا التأثر من خلال استعماله الألفاظ القديمة؛ بمعانيها المعجمية التي لا يمكن فهمها إلا بالعودة إلى المعاجم ومن تلك المفردات والألفاظ (القَشَبُ) في قوله():

خدعتمُ الشعب بالأشباح ماثلةً جوفاء تسترها أثوابُها القُشُبُ

فالقشب(*) مفردة غير معروفة في استعمالنا اليومي في الوقت الحاضر ولا يمكن فهمها إلا بالرجوع إلى أمهات المعاجم.

ومن الألفاظ الغريبة التي استعملها الشاعر (المسلول والمتبول والمكحول) في قصيدته اللامية من بحر الكامل متأثراً بقصيدة البردة لكعب بن زهير وعند دراسة القصيدتين نرى أنهما تعتمدان على البناء نفسه والهيكل والقافية مع أن قصيدة كعب من (بحر البسيط),

فالجعفري يقول في قصيدته التي وردت فيها الألفاظ المعجمية والتي هي نفسها في قصيدة كعب():

هلا رأيتَ لسيفك المسلولِ غِمداً بغير فؤادي المتبولِ

وفي بيت آخر من القصيدة ذاتها:

باتت تعنّفني وشاةُ حُسَدٌ في حبي ظبيٍ أغيدٍ مكحولِ

وقد وردت لفظة (متبول , مكحول) عند الجعفري في شعره واللفظتان قديمتان وقد وردتا في قصيدة البردة لكعب بن زهير والتي يقول فيها():

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبولُ

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغنّ غضيض الطرف مكحولُ

والشاعر استعمل هاتين اللفظتين للتعبير عن مكنونات نفسه فعمق تجربته جعله يستحضر المفردتين في قصيدته, ونلاحظ لامية الجعفري مكسورة, بينما لامية كعب بن زهير مضمومة.

٢) استعمال مفردات الخمر:

احتلت الفاظ الخمر وما يدل عليها في شعر الجعفري مساحةً لا بأس بها, فتارة يشير إليها بصراحة وتارة اخرى يشير إليها من بعيد باستعماله الفاظ تدل على الخمر أو شرب الخمر ومن قصيدته (كأس الجدال) متعددة القوافي ومن بحر الرمل ومنها يقول():

صِحت بالخّمار والديكِ زقا معلناً بالصبح, هاتِ القدحا

ومنها في ذات القصيدة :

فاسقني الكأس على الكاس ودع ذكر من رام سواها بَدَلا

وإذا كنا جميعاً في غدٍ نرد النار فأكثر لي الطِّلا

فالألفاظ (الخمار , القدحا, اسقني, الكأس, الطلا) فهذه الألفاظ وردت صريحة في قصائد الشاعر,لينقل لنا أجواء السعادة والمرح التي عاشها الشاعر انه قد شرب الخمرة(الخيال) مؤكداً بفعله الطلبي (اسقني) من الساقي ان يترك من يروم غير الكأس وأن يسقيه الكأس بعد الكأس؛ حتى الصباح وهذه المفردة تقترن بالذاكرة بصلاة الصبح ذات الحضور المقدس دينياً وكأنه اراد أن يرتقي بفعله خبر التقديس طالباً منه إكثار الشراب بالفعل الطلبي (أكثر) لي الطلا, وهكذا يرسم لنا الجعفري صورة من ألفاظه الخمرية.

ويخرج أحياناً الشاعر عن موضوع الخمر مستعملاً ألفاظه الخمرية رامزً إلى غيرها من المعاني والمقاصد ومن ذلك قوله:

وأرهف يسقي (البابليات) ريقه سلافة خمر تنعش الكأس والخمرا()

والبيت من قصيدة رثائية يرثي الجعفري صديقه الشاعر الشيخ محمد علي اليعقوبي وذكر لفظة (البابليات), الخمور المعتقة وهو يقصد قصائده ويلمح إلى كتابه (البابليات) وهنا لا عجباً أن الشاعر قد خرج بمفهوم الخمريات من معناها المعروف إلى المعنى الصوفي المرتبط بحالة تجلي النشوة الروحية التي تبعد صاحبها كل ما له علاقة بالغرائز الجسدية.

ج_ استعمال المفردة (المترادفة) الترادف:يعرف الترادف في اللغة التتابع, وترادف الشيء إذا تبع بعضه بعضاً, وكل شيء تبع له ردفه().

أما مفهوم الترادف في المصطلح اللغوي فهو ((دلالة عدة كلمات مختلفة ومفردة على المسمى الواحد أو المعنى الواحد دلالة واحدة))().

ويعد الترادف وسيلة من وسائل الربط داخل النص,إذ يسهم في امتداد المعنى داخل النص باعتباره شكلاً من أشكال التكرار().

أو أنه في الحقيقة يعني ((دلالة كلمتين في معنى واحد في اللغة الواحدة))(), والجعفري استعمل هذه الظاهرة اللغوية, فقد ركز على لفظة (العمى) وأعطى مرادفاتها (البصير, الظلام, الاعشى, العين, الدجى,دامس).

هذه دلالات على ما اصابه من ضعف بصر ومن ثم فقدانه له فكانت هذه الالفاظ واردة كثيراً في شعره ولعل تكرار هذه الالفاظ المترادفة في شعر الجعفري وردت لأمرين:

١) إن الشاعر ذكر هذه اللفظة ومرادفاتها بسبب تأثره بفقدان بصره تدريجياً وحسرته لإضاعة فرصة المنحة الدراسية لفرنسا منه بسبب عماه.

٢) الحالة النفسية والشعورية التي كان يعاني منها الشاعر فهي مليئة بالحزن والألم لفقدانه ابنه وزوجته وأصدقائه ومن ثم بصره كلياً واستعان برفيق يصحبه للدلالة في الطريق فكانت الالفاظ الترادفية تتوارد في شعره لتريحه من البعد النفسي والواقع الذي يعيشه وكأنه كما يعرف في علم النفس بمفهوم (التنفيس الشعوري) بمعنى أن الشاعر خرج بمفهوم الترادف من مفهومه اللغوي إلى المجاز البلاغي ومن مرادفات الجعفري قوله():

أنرت طريقه الاعشى سراجاً وقدت فؤاده الاعمى عيونا

فالفعل (أنرت) لا يعني بالضرورة الإنارة اللغوية المعجمية, بل أنها تخرج إلى مفهوم إنارة العقول بالحكمة أو العلم, وكذلك (الطريق) ,فهو لا يعني بالطريق ذلك السبيل الذي يقطعه الناس في تجوالهم وترحالهم ,بل قد يعني أيضاً الوسيلة التي تحقق من خلالها غاية وصولية لأمر ما قد يكون فكرياً أو نفسياً, وهنا مجاز بلاغي وكذلك (السراج) فكلنا نعرف معنى السراج في اللغة, لكن الشاعر جعل من كل فكرة منيرة مشعة بالنور المبدد للجهالة كما يفعل السراج مع الظلام كما أن توظيفه لفعل له أثرٌ مادي ملموس (قدت) فالقيادة تكون لمقادٍ ضلَّ طريقه, أو يبحث عن هادٍ يهديه بينما الشاعر خرج عن هذا المعنى لمرادفٍ حسي, وهو القيادة الروحية المعبر عنها بآلة نابضة بالحياة (الفؤاد) ,فكأنه غداً عينين لأعمى يفتقد البصر وبذات الدلالة لمفهوم (العين) التي قد تكون محضُ رؤيةٍ لما هو محسوس لا مجسد ملموس, كما العمى قد يكون عمى البصيرة لا

البصر فبهذا البيت الواحد جمع الجعفري مرادفات عديدة وبتكثيف اسلوبي فني رائع يدلك على علو شانه الأدبي.

٢- الاستعمال الشعري في مستوى الجملة:

بيّنا سابقاً أن اللفظ هو اللبنة الأساس لبناء النص الشعري, بما فيه من مفردات وتراكيب, فإذا كانت المفردة تمثل المادة الخام في البناء الشعري للغة,فأن تركيب الجملة يمثل صياغة لها, فالشعر كما عبر عنه الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ((صناعة, وضرب من النسج))().

الالفاظ تكتسب تأثيرها من حال نظمها, ووضعها في سياق معين تبعاً للحالة الشعورية والانفعالية لشاعر فما الصياغة الشعرية سوى ((تعليق الكلم بعضها ببعض))().

سوف اختار نماذج من التراكيب الأكثر شيوعاً في شعر صالح الجعفري مع مراعاة ورود الأساليب حسب كثرتها في شعر الشاعر, ومن هذه الأساليب:

أ- اسلوب الإستفهام:

إن المفهوم العام للاستفهام: هو ((طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً قبل))(), قد استعمل الشاعر هذا الاسلوب كثيراً في شعره, إذ أحتل مساحة واسعة,لكونه يسهم اسهاماً واضحاً في المجادلة والمحاججة,وقد وظف الجعفري أغلب أدوات الاستفهام ليعبر عن أغراضه وما يكمن في نفسه ومنها (الهمزة, هل, أين,متى, كيف, مَنْ, كم) فقد عبر استفهامه عن أغراض مجازية ومنها (الاستثناء, الأمر, التعظيم, التكثير,الاستبطاء, التقرير, الاستنكار, التعجب) وذلك من أجل ايصال ما يريده, وللأخبار عما في النفس ومن ذلك قوله():

أرأيتَ مكر الله تأمن جانبه؟ أعرفتَ كيفَ تكون سوء العاقبة؟

فالجعفري يستفهم تصديقياً بالهمزة في صدر البيت ويؤكد استفهامه في عجز البيت بذات الحرف ثم يعززه باسم استفهام آخر (كيف) لغاية التوكيد عن سوء عاقبة الماكرين, فقد تركت هذه القضية (المكر) أثراً قوياً في نفس الشاعر وكأنما طلب منه ذلك فصرح بالاستفهام مستشهداً ضمنياً من قوله تعالى في الآية الكريمة [ومن قوله():

أترى لو ذهب اليوم سدى هل يجيء الغد في شاكلته؟

هنا التوظيف الاستفهامي التصديقي مؤكد بالهمزة و (هل) وفيه نوع من التحدي لكل منكرٍ للقدرة الإلاهية على تصريف الأمور وتقرير المصائر, وهنا الاستفهام بلاغي أكثر من كونه لغوياً وله دلالة استفزاز العقول ودفعها للتأمل. ومن قوله أيضاً():

كل ما في الوجود عندي جميل كيف لا؟ والوجود بعض جمالك

هنا الاستفهام الاستنكاري دالٌ على نزعة حث الآخر على التأمل, تلك النزعة المستوطنة في ذات الشاعر بحكم أنه صاحب رسالة ارشادية والاستفهام هنا غير حقيقي بل خرج إلى الايغال بتحدي المتشككين بعدم بلوغ المتخاذل والمتهاون لهدفه.

ب- اسلوب النداء:

النداء هو ((التصويت بالمنادي ليقبل))()؛ وقد استعمل الجعفري اسلوب النداء, وكانت (يا) النداء لها حضور كبير بين حروف النداء الأخرى لأنها تستعمل في جميع أنواع النداء؛ فينادى بها ((المتوسط والبعيد حقيقة أو حكماً امتداداً الصوت ورجعه بها))().هناك ثمة ملازمة بين الحرف(يا) والمنادى والحالة النفسية والشعورية التي يمر بها الشاعر فتجعله ينادي من هو قريب منه سامعاً لشكواه يقول الجعفري():

يا قلبُ مالك كلما حاولتُ أن أسلو وجدتك آخذاً بخناقي

فقد استعمل (يا) لنداء القريب مكاناً, ويمكن اعتبارها استعملت للبعيد انشغالاً فهناك من انتزعه من بين احشائه ليتحكم به عنده كناية عن حبيب (قريب / بعيد) وقوله():

يا هنائي يا غنائي كيف أصبحت عنائي؟

نلاحظ في هذا البيت أن الشاعر جمع اسلوب النداء مع اسلوب الاستفهام في بيت واحد ليعبر عن فورة عاطفية هزت كيانه وكأنه ينادي على من يثير فيه اسئلة وجودية لا يمتلك الاجابة عنها إلا بتوالي النداء عليه آثاره لعطفه.

ج-اسلوب الأمر والنهي:

١)الأمر:

الأمر هو طلب على وجه الاستعلاء والإلزام, أو كما يعبر عنه: صيغة تستدعي الفعل أو هو قول ينبئ عن استدعاء العقل من جهة الغير على وجه الاستعلال().

يقول الجعفري():

قفوا نستمع من شاعر الخلد مقطعَ الـ قصيدة مختوماً بإنشادها العمرُ

دعو واصف الأحياء ينطقْ فربما يَعِنْ له في بعض ما حوله فكر

سلوه عن الاخرى وعن نظمُ البِلى وهل في البلى كوخ؟ وهل في البلى قصرُ؟

نلحظ في هذه الأبيات الرثائية تتابع أفعال الأمر الواحد تلو الاخر واتصالها بواو الجماعة (قفوا –دعو – سلو) فالأبيات تتابعت وتصدرها فعل, إلا أنها تدعو بشدة ضمنية إلى الأخذ بما يريده الشاعر من احكام فيضمنها في ابياته المذكورة فهو طلب ظاهره صريح بأمرية مستترة؛ نلحظ بخبرة الشاعر ربط اسلوب الطلب مع اسلوب الاستفهام في البيت الأخير مما أعطى لإحساس الشاعر تدفقاً عاطفياً أثر في مشاعره بفقدان الراحل, وقد ورد اسلوب الأمر كثيراً في شعر الجعفري.

٢) النهي:

هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام وله صيغة واحدة هي الفعل المضارع المقرون بـ (لا الناهية)(). من قول الجعفري():

لا تيأسوا: عقد النجا حُ على نواصي الصابرينا

ومنها قوله():

لا تكتبوا أو ترتأوا إلا الصحيح المستبينا

ومنها أيضا:

لا تغرسوا المرّ الذعا ف إذا نشأتم غارسينا

ويكرر لا:

لا تكتفوا بالنَّزرْ بل كُرّوا الطِلاب مثابرينا

ويكرر لا:

لا تطلبوا أعلى المرا تبِ قاصرين مقصرينا

وغاية الشاعر من تكرار النهي يؤكد النهي الجمعي بدلالة (واو الجماعة) الواردة متلازمة مع الأفعال المضارعة مؤكداً للجيل الطالع في خطابه نهيهم عن اليأس وعدم القبول بأقل من حقوقهم ونهيهم عن المبالغة في المطالب فهو نهي عن مكروه بمعنى آخر أنه دعوة صادقة للتكامل وفعل كل ما فيه خير وفضيلة.

د- اسلوب الربط (الربط بالأداة):

أدوات الربط هي ((وسيلة بناء لتفسير ما سيقدم في علاقته بما يسبقه, حيث تفسر كيف أننا مسبقاً على وجود العلاقة الدلالية في سطح النص))(), استعمل الجعفري أدوات الربط في شعره لاسيما الربط الإضافي المتمثل بـ(الواو) التي تفيد معنى الاشراك في المعنى().

وذلك في قوله():

ووجدتُ من عَمَرَ القصور حياتَه بالظلم يسكنُ بالممات خرائبَه

ومن ارتضى بالمارقين أقارباً يلقي بهم يوم الحساب عقاربه

ومن استراح إلى الحياة ملاعباً لم يجن إلا خُسرهُ ومتاعبه

نلحظ أن الشاعر استعمل أداة الربط (الواو) من أجل تماسك الأبيات التي اسهمت فيها الواو لكي تحافظ على تسلسل المعنى وترابط الجمل هذا من حيث الشكل أما من حيث الدلالة المعنوية المضمونة,فقد أفادت هذه الواو معنى الاستئناف حيث أنها أو صلت للقارئ إيحاءً بأن كلم ما قبلها لم يتوقف دلالة بل, أنه مستأنف فيما بعدها من عبارة بغية تكامل المعنى.

لم يقتصر الجعفري في شعره على استعمال (الواو) في اسلوب الربط بل استعمل غيرها من حروف العطف الرابطة ومنها (أو) التي تفيد التخيير وتردد الفعل بين شيئين وجعله لأحدهما(). يقول الجعفري():

قلت: أرْأبوا هذا العمود تصدّعت فقراته أو أنهضوه جليسا

أو توّجوا ذاك العمود برأسه فلقد أطال مكوثه مرؤوسا

أو اصلحوا خلل الزلازل طارئاً أو رمموا أو قوموا التقويما

لقد استعمل الجعفري حرف الربط (أو) في هذه الأبيات (خمس) مرات لتخدم غرضه فجعلها تربط بإحكام مقاطع وأبيات القصيدة و أفادت التخيير بشكل كبير تاركاً الأمر للمخاطب في الخيار وخاصة في البيت الأخير الذي أعطى فيه الشاعر ثلاث خيارات؛ ونرى أن الحرف العاطف (أو) في الأبيات أعلاه خرج لدلالة لغوية اخرى؛ هي (الإبدالية) أو (الإحلالية) في المعنى أي ما قبلها يمكن ابداله بما بعدها لذا تعد هنا من الحروف الناصبة وجوباً لما بعدها من الأفعال المضارعة وإن جاءت بصيغة الأمر وهذا يدل على أن الجعفري كان خبيراً و متضلعاً باسرار اللغة العربية وأحكامها النحوية.

استعمل الجعفري أيضاً (ثم) وهي من أدوات الربط النحوي التي تفيد الترتيب مع تراخٍ(). ومن ذلك قوله():كفي الملامة واسمعي عذري ثم اسعديني فالهوى عذري

هنا الشاعر ربط فعلي الطلب (كفي) و (اسعديني) بالرابط (ثم) محققاً معنى التراتب والتراخي في الزمن الذي تفيده (ثم)؛ فهو يخاطب حبيبته بدلالة (ياء المخاطبة) في الفعلين ففي (كفي) يطالبها بالكف عن اللوم وسماع عذره ثم يطالبها بالسعادة بعد حين وإن طال الزمن.

مختصر القول أن الشاعر قد استعمل أدوات الربط المتمثلة بـ (الواو, أو, ثم) للربط بين الجمل ومقاطعها لتسلسل المعنى وتماسك النص؛ وللتعبير عما يكنه من أجل ايصاله إلى المتلقي, وهذا يعد لوناً من ألوان البراعة الفنية في صياغة النص الشعري وتكشف لنا عن طول نفس الشاعر وامكانيته في توفير مساحة أو سع في التعبير.

ويمكن القول أن الظواهر اللغوية الواضحة في شعر صالح الجعفري تجلت بالآتي:

١- استعماله المفردات الدينية مضمناً شعره بهذه المفردات, متأثراً من بيئته الدينية التي عاش فيها وتأثير اسرته العلمية فقد تلوّن بألوانها.

٢- استعماله المفردات القديمة, جاء بسبب تجربته العميقة وثقافته الأدبية متأثراً بشعراء العصر الجاهلي بعد أن أطلع على اشعارهم جعله يستعمل الالفاظ العالقة في ذاكرته من قراءته لدواوينهم.

٣- استعماله الالفاظ المعاصرة, لمواكبته العصر وتأثره بالأدب الغربي والمهجري ناهيك عن غلبة سهولة ووضوح الالفاظ المتداولة في عصره والتي تسللت إلى الأدب والشعر من جراء التطور الحاصل الذي اضفى صبغة جديدة على اللغة.

الخلاصة

بعد رحلة شاقة وممتعة مع شعر صالح الجعفري الاجتماعي, والتي تناولت فيها دراسة شاعر عراقي عاش في فترة تكاد تكون من أهم الفترات التي مرت في تاريخ العراق الحديث, فقد عايش فترة التقلبات السياسية والاجتماعية التي مر بها العراق, وقد جنت هذه الدراسة ثماراً عدة نذكر منها:

١_استعمل الجعفري اللغة بوصفها المادة الأولية وعلى مستويين, الأول: المفردة, التي خرجها من معانيها إلى معانٍ جديدة, وبث الروح في مفردات قديمة كانت على وشك الاندثار؛ وظف الترادف من خلال تصرفه بالمفردة وتنوعها توظيفاً جميلاً يدل على ثقافته اللغوية, أما على مستوى الجملة: فقد استعمل أساليب مختلفة أتاحت للجملة إمكانية التعبير عن المعاني والأغراض التي يصبو إليها ومن تلك الأساليب (الاستفهام, النداء, الأمر, النهي, الربط بالأداة).

٢_اختار الشاعر الصورة الحسية المتمثلة بالحواس (البصر, السمع, الشم, الذوق, اللمس) بشكل واسع في شعره ولا يكاد يخلو شعره من الصورة الذهنية و لافتقاده إلى واحدة من تلك الحواس حاسة (البصر) وردت الصورة البصرية كثيراً في شعره, والصور الحسية لها اثرٌ بالغ في النفس يدلل على خيال الشاعر الواسع وتمكنه الابداعي.

٣_استعمل الشاعر الروح الحسية في رسم الصورة الشعرية وأنطق هذه المحسوسات الجامدة باثاً فيها الحياة بصورة رائعة اكسبت شعره اصالة التأثير في المتلقي.

٤_وظف الشاعر التصريع والجناس والتكرار والطباق والتصدير في شعره جرياً مع عادة الشعراء القدامى,وقد أضافت لصوره عنصراً مؤثراً وفعالاً في المتلقي.

٥_طغت بحور (الكامل, الطويل, البسيط, الخفيف,مجزوء الكامل) وقلت البحور الاخرى وسبب ذلك توافق تلك البحور مع الانفعالات النفسية والشعورية عند الشاعر وانسجام تفعيلاتها مع

المعاني التي يريد ايصالها إلى المتلقي والتي تهدأ من فورته الانفعالية بينما بعض البحور لا تؤدي ما يطمح إليه الشاعر فترد قليلة في شعره.

٦_كثرت الحروف (ر, م, ل, ن) أصواتاً للقوافي في شعر الجعفري وأخذت مساحة كبيرة في شعره بينما قلت الحروف (د, ح, ت, ي, ق, ع) وهذا الأمر يعود إلى طبيعة مخارجها ومدى تلائمها مع تجربة الشاعر, وبهذا الجهد المبذول في الجمع والتحقيق سقطت قصائد وأبيات من ديوانه المحقق استدركتها في ملحق البحث بعد أن حصلت عليها من ارشيف الأسرة.

وأخيراً, فقد كانت هذه محاولة جادة لقراءة شعر صالح الجعفري الاجتماعي آملةً أن أكون قد وفقت فيها وأعتذر عن أي تقصير, فلا أدعي الكمال فيما توصلت إليه, فإن الكمال لله وحده, ومنه التوفيق.

References

١- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢- ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت.

٣- صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت.

٤- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة.

٥- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

٦- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت.

٧- كمال أبو ديب، في البنية الإيقاعية للشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت.

٨- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت.

٩- كعب بن زهير، ديوان كعب بن زهير، دار الجيل، بيروت.

١٠- رمضان عبد التواب، الترادف في العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة.